مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02. بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تجليات الغضب في الشعر الأندلسي

قراءة في نماذج مختارة

م.د. محمد كاظم عجيل

العراق – وزارة التربية – المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

mkadm1184@gmail.com

الملخص :

يعد الغضب ظاهرة انفعالية تنتاب الإنسان في لحظات معيَّنة ، ويختلف مستوى ظهوره ، ومقدار شدَّته من شخص إلى آخر ، بحسب نوع المثير الخارجي ، وطبيعة الحالة النفسية للنفس الإنسانية ، ودرجة استيعابها ، وقدرتها على التعامل مع المواقف الانفعالية . وبما أنَّ الشاعر قد حباه الله سبحانه وتعالى بالقدرة على نظم الشعر ، الذي غالباً ما يكون صدى لحالته النفسية ، التي تكون مثقلة بالآلام والهموم والأحزان في بعض الحالات . لذلك سعينا في هذا البحث إلى دراسة مثيرات الغضب وتجلّياته في نماذج مختارة من الشعر الأندلسي ، نظراً لما شهدته الحياة في الأندلس – وفي عصورها المتعاقبة – من أطماع خارجية كانت تسعى دائماً للانقضاض على بلاد الأندلس ، والسيطرة عليها من جهة ، فضلاً عن الصراع الشديد بين الأندلسيين للوصول إلى السلطة من جهة أخرى ، وقد أنتج ذلك تمزُّقاً وتفكُّكاً سياسياً في حالات كثيرة ، انعكس سلباً على أبناء المجتمع ، فكان مدعاة لتفشِّي انفعال الغضب عند بعض الشعراء الأندلسيين ، سواء كانوا ضمن منظومة السلطة أو خارجها . فيما كان لبعض القضايا الاجتماعية أثر في بروز انفعال الغضب ، مثل (الشيخوخة ، والعوز، والصراع بين الشعراء ، وتداعيات العشق) وغيرها .

Manifestations of anger in Andalusian poetry read in selected models

Dr. Mohammed Kazem Ajeel
Ministry of Education Iraq -
General Directorate of Education in Dhi Qar Governorate
mkadm1184@gmail.com

Abstract:

Anger is an emotional phenomenon that affects aperson at certain moments, the level of its appearance and the amount of its severity varies from person to person . We have sought in this research to note the manifestations of anger that affected a number of poets . So we took from Andalusian poerty as an applied field, given what life witnessed in Andalusia – and in its successive eras of external

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ambitions , it always sought to attack the country of Andalusia . This has resulted in rupture and political disintegration in many cases , which has negatirely affected the members of society , while some social issues had a bearing on the emergence of anger , suchas old age , want and conflict between poets and the repercussions of love and others.

Key words : anger , Andalusian poetry , political level , social level .

مدخل

يعد الغضب تمظهراً لحالة انفعالية تنتاب الإنسان في لحظة ما ، وقد لا يتم السيطرة عليه في حالات كثيرة ، فالأمر مرتبط بنوع المثير ، الذي يختلف من موقف إلى آخر ، ومن شخص إلى آخر ، فتارة يكون تأثيره شديداً وصادماً ، يجعل من الصعب احتواء آثاره ، وتجاوز تداعياته المؤلمة ، لذلك تصدر من الغاضب ردود أفعال تتَّسم بالشدَّة في بعض الأحايين ، وقد تصل إلى حد العنف ، والتعدِّي على من قام بإغضابه ، فيضطر – وتحت تأثيرات الموقف الشعوري – إلى استخدام لغة قاسية ، يقوم بتضمينها عبارات التهديد والترهيب . وتارة أخرى تكون مثيرات الغضب ووقعها خفيفاً ، يمكن معه استيعاب إفرازاته وارتداداته النفسية ، والتصرُّف أزاءها في حدود المعقول ، في ظل حالة من التوازن بين ترجمة حالة الغضب ، وبين الالتزام بحدود معيَّنة من ضبط الضغط الانفعالي ، وعدم التسليم والانقياد كليًّاً خلف حالة التعصُّب ، التي تتولَّد بفعل بوع المثير ، ومدى قدرة الفرد على التعامل معه .

وممَّا لا شك فيه أنَّ الشاعر لا يختلف كثيراً عن الناس الآخرين ، وربَّما يكون غضبه أشد وأقسى حدَّة، وذلك لما يملكه من أحاسيس ومشاعر خاصة ، فضلاً عمَّا يطمح إليه في الحصول على مكاسب وامتيازات كثيرة ، تلبِّي رغباته في الوصول إلى مواقع اجتماعية وسياسية وثقافية مرموقة ، لاعتقاده بقيمة منزلته الناتجة من موهبته الشعرية ، التي يرى فيها أغلب الشعراء سبيلاً يوصلهم إلى المجد والرفعة ، والحياة الكريمة . إلا أنَّ ذلك لم يكن أمراً يسيراً ، فهم – في الغالب – يعيشون حالة من الصراع والتنافس فيما بينهم ، أو مع السلطة ، وقد يتعرَّضون نتيجة لذلك للمكائد والمؤامرات ومحاولات الإقصاء ، الأمر الذي يجعل من الغضب حالة ملازمة لعدد من الشعراء ، حتى أصبحت عند بعضهم أمراً مزاجياً مألوفاً ، لا سيما عند من لا يستطيع التماسك أمام المثيرات الانفعالية ، وحينما يشعر بفقدان السيطرة على مشاعره وأفعاله وأقواله . وهذا الواقع ينطبق على عدد كبير من الشعراء الأندلسيين ، فقد عاشوا حياة مليئة بالتوتر والقلق والاضطراب ، إذ شهدت حالة من التدافع بينهم ، بهدف الوصول إلى الشهرة والعيش الكريم

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

بالقرب من السلطة الحاكمة ، وفي عصور الأندلس المختلفة . هذا فضلاً عمَّا شهدته الحياة في الأندلس – وفي عصورها المتعاقبة – من أطماع خارجية كانت تسعى دائماً للانقضاض على بلاد الأندلس ، والسيطرة عليها من جهة ، فضلاً عن الصراع الشديد بين الأندلسيين للوصول إلى السلطة من جهة أخرى ، وقد أنتج ذلك تمزُّقاً وتفكُّكاً سياسياً في حالات كثيرة ، انعكس سلباً على أبناء المجتمع ، فكان مدعاة لتفشِّي انفعال الغضب عند بعض الشعراء الأندلسيين ، سواء كانوا ضمن منظومة السلطة أو خارجها . فيما كان لبعض القضايا الاجتماعية أثر في بروز انفعال الغضب مثل (الشيخوخة ، والعوز ، والصراع بين الشعراء ، وتداعيات العشق) وغيرها .

وبعد الاطِّلاع على عدد من تجارب الشعراء الأندلسيين ، وما شهدته من حالات انفعالية غاضبة ، فقد تمَّ تقسيم البحث على تمهيد ومبحثين ، إذ سيكون التمهيد مقتصراً على دراسة مفهوم الغضب لغة واصطلاحاً ، وبيان إيجابياته وسلبياته . أمَّا المبحث الأول ، فميدان عمله البحث في تجليات الغضب في الشعر الأندلسي بفعل المثيرات السياسية ، فيما سيكون المبحث الثاني مختصَّاً بدراسة المثيرات الاجتماعية.

وقد تركَّزت جهود البحث في اختيار نماذج شعرية متنوَّعة ، بعضها طغى عليها طابع الحجاج ، الأمر الذي جعلها تقترب من التعبير المباشر ، فغاب عنها البعد الإيحائي بجوانبه الفنية المختلفة . فيما حرصنا في النماذج الأخرى أن تكون مشتملة على التصوير الجمالي ، لا سيما ما يتعلَّق بتوظيف وسائل التعبير الفنية (الاستعارة والتشبيه والرمز) ، بوصفها أدوات إيحائية يلجأ إليها الشعراء كثيراً ، للتعبير عن مكنونات أنفسهم ، فهي أقدر على إيصال مشاعرهم وأحاسيسهم . إذ إنَّها تحقِّق غايات دلالية وجمالية تعمل على الارتقاء بالقيمة الفنية للنصوص الشعرية ، وجعلها أكثر فاعلية وقدرة على شد انتباه المتلقي ، ومنحه لذة القراءة والتأويل . وسيقوم البحث بدراسة الأبعاد الإيحائية في الصور الفنية التي تدور حول تجسيد غضب بعض الشعراء الأندلسيين . فيما استعان البحث في بعض المواضع بدور السياق ، من أجل الكشف عن الأبعاد النفسية التي أسهمت في ولادة عدد من النصوص الإبداعية ، فما يتم ذكره من أحداث ترافق شاعراً ما في بعض الحالات ، أضاء الكثير من الجوانب التي أعانت الباحث على الوصول إلى أعماق عدد من الشعراء الأندلسيين ، ومعرفة المؤثرات الخارجية التي أسهمت في تفجير انفعال الغضب لديهم ، الأمر الذي انعكس على عملية فهم النص المنتَج.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

التمهيد / مفهوم الغضب

تحدَّثت معاجم اللغة عن الغضب ، فذكر الفراهيدي في معجم العين ((رجل غَضُوبٌ وغَضِبٌ وغُضُبَّة وغُضُبٌ أي كثير الغَضَب شديده . وناقةٌ غَضُوبٌ : عَبُوسٌ))[1]. وذكر ابن منظور أنَّ ((الغَضَبُ من المخلوقين شيءٌ يُداخِل قُلُوبَهم ، ومنه محمود ومذموم ، فالمذموم ما كان في غير الحق ، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق ، وأمَّا غَضَبُ اللّه فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه))[2]. وبذلك فإنَّ الغضب في المفهوم اللغوي يعني أنَّه سلوك انفعالي تظهر ملامحه ، ويمكن ملاحظتها على جسد الإنسان والحيوان وأدائهما ، وهو يرتبط بالجانب النفسي كثيراً . وقد ميَّزت معاجم اللغة بين غضب الخالق جلَّ وعلا ، وبين غضب مخلوقاته ، فغضب الله لا يكون الا حينما يعصيه العبد ، لذلك يكون غضبه لحكمة ترتبط بصلاح الإنسان ، وتقويم سلوكه ، وإبعاده عن المعصية . أمَّا فيما يتعلَّق بغضب الإنسان ، فقد حدَّدت معاجم اللغة نوعين من الغضب ، جعلت بعضه محموداً حينما يأتي في نصرة الدين والحق ، وبعضه الآخر يكون مذموماً ، حينما يحصل بفعل أشياء لا علاقة لها بالحق والصواب .

أمَّا تعريف الغضب اصطلاحاً ، فقد ذكر الدارسون والباحثون في الشأن النفسي تعريفات متعددة ، إلا أنَّها تكاد تكون متشابهة في وصف حالة الغضب ومثيراته ، فهو ((استجابة انفعالية حادة ، تثيرها مواقف التهديد أو العدوان أو القمع أو الإحباط أو خيبة الأمل))[3]. وهذه الاستجابة تحدث كثيراً حينما يتعرَّض الإنسان لموقف عدائي ، إذ ((تصاحب العديد من مواقف الحياة اليومية والتي من شأنها كف أحد نشاطاته ، أو منع أحد أو بعض دوافعه من الإرضاء ، أو شعور الإنسان بأنَّه عُتِب أو ظُلِم أو تعرَّض للهوان))[4]. والغضب نوع من الكراهية أو النفور والاشمئزاز ، يكنَّه الفرد ضد من اقترف عملاً سيئاً بحقه ، أو حاول أن ينزل الضرر به بصورة مقصودة . وبما أنَّ الغضب مبني على فعل يصيب الفرد في الصميم ، فإنَّه ينتج لديه الرغبة في الانتقام في أحايين كثيرة[5]. ويرى عدد من علماء النفس أنَّ الغضب يترك آثاراً سلبية على أداء الفرد وتفكيره حينما يغضب ، فيعوقه عن مواصلة التفكير بشكل سليم ، ويؤثر على ممارسة النقد الحصيف ، وفحص الأمور والتدقيق فيها ، الأمر الذي لا يعينه على إصدار أحكام دقيقة ومناسبة[6]. وعلى الرغم من ذلك فإنَّ بعض الباحثين في الشأن النفسي وجد في الغضب فوائد إيجابية ، وعدَّه انفعالاً طبيعياً لابد منه ، إذ لولاه لبقينا في حالة من السكون وعدم الحركة ، فهو قوة خير إذا تم توظيفه بالاتجاه الصحيح ، فالتنفيس عن الغضب أمر مطلوب ، يساعد المرء على التخفيف من وطأة الاستثارة الانفعالية التي تسبِّبها حالات الإحباط ، وإعاقة الأهداف ، ويعينه على الانتصار على

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تردُّده ، والتغلُّب على العقبات التي تقف حائلاً بينه وبين تحقيق أهدافه(7). لذلك فالغضب طاقة فعَّالة قد تدفع المرء إلى استعادة حقوقه المستلبة ، وتصحيح المسار الخاطئ الذي يحاول الآخرون إجباره على الرضوخ له ، فهو وسيلة من وسائل الردع ، فضلاً عن كونه سبيلاً للتفريج عن الهموم المتراكمة ، والتسرية عن النفس ، وتخليصها من الأوجاع والآلام ، وآثارها الضاغطة .

الاشتغال التطبيقي

ممَّا لا شك فيه أنَّ ظاهرة الغضب حاضرة في أزمنة وأمكنة مختلفة ، إلا أنَّها قد تكون بدرجات متفاوتة صعوداً ونزولاً بين الشعوب ، وهذا الأمر رهن بمدى عدالة النظام السياسي ، وقدرته على توفير أسباب العيش الكريم بنسب متساوية بين أفراد الشعب الواحد ، بعيداً عن الظلم والتهميش والإقصاء ، فضلاً عن فاعلية منظومة القيم الأخلاقية في المجتمع ، ودورها في بناء الفرد على أسس صحيحة ، وجعله عنصراً نافعاً يعي دوره ، ويفهم حقوقه وواجباته ، فيمارس نشاطاته الحياتية بثقة عالية ، بعيداً عن الشعور بالنقص ؛ لأنَّ خلاف ذلك يسود الغضب ، وتزداد ضراوته ، وهو ما كان يحدث في أغلب العصور القديمة ، التي شهدت صراعات وحروباً دامية ، وتهميشاً متعمداً كانت تمارسه أغلب السلطات على نطاق واسع تجاه أبناء المجتمع عامة ، والمنافسين والخصوم بصورة خاصة ، إذ إنَّ كثيراً من الأنظمة التي مارست السلطة قديماً جعلت همها إشباع رغباتها ، وتلبية طموحات القائمين عليها . والملاحَظ أنَّ بلاد الأندلس لم تكن بمنأى عن ذلك ، إذ لم تهدأ فيها الأوضاع طويلاً ، فقد كانت تعج بالتنافس السياسي ، وما أنتجه من صراعات وانقسامات حادة ، فضلاً عن الأطماع الخارجية التي كانت تسعى إلى إنهاء الوجود العربي الإسلامي في أوقات مختلفة من تاريخ الأندلس ، زد على ذلك طبيعة المجتمع الأندلسي ، وتعدد أجناسه وقومياته وأديانه وتوجهاته ، الأمر الذي ولَّد حالة من الاضطراب والتفكك المجتمعي في بعض الحالات . هذا فضلاً عن بعض القضايا المرتبطة بشاعر دون آخر ، التي لها بواعثها وآثارها الخاصة. كل ذلك كان سبباً في شيوع ظاهرة الغضب ، وهو ما سيقف عنده البحث في ميدانه الإجرائي .

المبحث الأول / المثيرات السياسية

يرتبط نشاط السلطة في العصور القديمة – وفي أحايين كثيرة – بالعنف والاستبداد وقمع الحريات ، فلا شيء يهم الحاكم سوى الهيمنة ، والتمتُّع بمغانم السلطة ، والعمل على دوامها ، لذلك كانت عملية الوصول إلى السلطة هماً يراود الكثير من الطامحين على مر العصور ، بغض النظر عن الوسيلة المتبعة لتحقيق هذا الغرض ، وهذا الأمر لم يكن شيئاً يسيراً ، بل دائماً ما كان مليئاً بالصراعات والنزاعات ،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وحافلاً بالأحقاد والضغائن ، نظراً لكثرة المنافسين والخصوم الذين يعملون على مزاحمة القائمين على السلطة ، ويسعون إلى انتزاعها بمختلف الوسائل والأساليب المشروعة وغير المشروعة . وفي ظل هذه الأجواء المشحونة تصبح حالة الغضب شيئاً مألوفاً وشائعاً على أداء أصحاب السلطة تارة ، والمعارضين لها والساعين للحصول عليها تارة أخرى ، أو من يطاله عقابها .

وهناك مواقف كثيرة في بلاد الأندلس تكشف عن غضب السلطة وانزعاجها من بعض الممارسات التي لا تنسجم مع أفكارها ومصالحها ، حتى أنَّ بعض الأفراد ما أن يصل إلى مبتغاه يبدأ بالتنكُّر لمن أعانه على إتمام مهمته ، وينسب كل شيء لنفسه بلغة متعالية ، وفي بعض الأحايين يقوم بتصفية مساعديه ، أو إبعادهم عن مركز القرار والسلطة ، إذ ((كانت السلطة السياسية في الماضي تختلف باختلاف أشخاص الحكام ، فهم يجسّدون هذه السلطة ويمارسونها على أنَّها امتياز شخصي ، يكتسبونه بفضل مواهبهم أو أشخاصهم))(8). لذلك يشعر كثير من القائمين على شؤون الحكم بالضيق حينما يسمعون أنَّ أحداً يتباهى بفضله عليهم ، أو يحاول التقليل من شأنهم ، الأمر الذي يثير غضبهم فينعكس أثره على خطابهم ، الذي غالباً ما يأتي مشحوناً بالتوتُّر ، فيكون صدى لانفعالاتهم ومشاعرهم الغاضبة . ومن ذلك ما حدث مع الأمير عبد الرحمن الداخل ، فتذكر الروايات ((**ولمَّا استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه أنَّه قال : لولا أنا ما توصَّل لهذا الملك ، ولكان منه أبعد من العيوق ، وأنَّ آخر قال : سعده أعانه لا عقله وتدبيره ، فحرَّكه ذلك إلى أن قال :**

لا يلـــفُ ممتنٌّ علينا قـــــائلٌ ... لولاي مـــا ملكَ الأنامَ الداخلُ
سعدي وحزمـي والمهنَّدُ والقـنا ... ومقادرٌ بلغتُ وحـــــالٌ حائلُ
إنَّ الملوكَ مـــع الزَّمانِ كواكبٌ ... نجمٌ يطالعُنا ونجـــــمٌ آفـــلُ
والحزمُ كلُّ الحـزمِ أن لا يغفلوا ... أيرومُ تدبيرَ البريَّةِ غــــافــــلُ
ويقولُ قـــــومٌ سعــدَهُ لا عقلَهُ ... خيرُ السَّعادةِ ما حماها العاقلُ
أبني أميَّة قـــد جبرْنا صدعَكُم ... بالغربِ رغـــماً والسُّعودُ قبائلُ
مــا دام مـــن نسلي إمامٌ قائمٌ ... فالملكُ فيكم ثابتٌ متواصـــلُ))(9)

لقد صدر خطاب الأمير عبد الرحمن عن ذات غاضبة ، أثارها كلام الآخرين ، وأشعل بداخلها نار الغضب ، لذلك لم يتأخَّر كثيراً في الرد على افتراءاتهم ، وتفنيد ادّعاءاتهم ، وإبطال ما يعتقدون به على

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

حد قوله ، إذ وجد في كلامهم انتقاصاً من قدراته ، وتغييباً مقصوداً لتضحياته ، وتهميشاً واضحاً لدوره ، وجهوده العظيمة في بسط نفوذه على بلاد الأندلس ، وإقامة الحكم الأموي فيها ، بعد أن قضى على الفتن والمؤامرات والصراعات الداخلية ، ودفع الأخطار والتهديدات الخارجية ، وكل هذا لم يحصل لولا ذكاؤه وحنكته وتدبيره وشجاعته وحزمه في معالجة الأمور ، والتعامل مع مختلف الأحداث السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية ، وليس للآخرين المنتقدين ، أو السعد وحسن الطالع فضل فيما حقَّقه الأمير من إنجازات . فهو لم يكن شخصاً مغموراً وأتته السلطة على حين غفلة كما حاول بعض مناوئيه ترسيخه في الأذهان ، بل أعلن أنَّه كان يحمل مشروعاً سياسياً كبيراً ، يتمثَّل بإعادة أمجاد بني أميَّة التي طمسها العباسيون في المشرق ، والعمل على إحيائها في الأندلس ، وهذا المهمة كانت مستحيلة، وربَّما محض أوهام ، إلا أنَّ الأمير الأموي الهارب من بطش العباسيين ، قد نهض بالأمر على أحسن وجه، وحقَّق آماله وطموحاته ، وجعلها حقيقة ماثلة للعيان .

ويبدو أنَّ ما مرَّت به الأندلس من أحداث ، وما شهدته من فتن واضطرابات وصراعات داخلية ، بفعل الرغبة التي كانت تراود الكثير للوصول إلى السلطة ، والأخطار الخارجية التي كانت تسعى إلى تغيير الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والديني ، وفي عصور الأندلس المختلفة ، كل ذلك ألقى بظلاله على الحياة الاجتماعية والسياسية ، فما أن تمر مدَّة زمنية ينعم بها أهل الأندلس بالرخاء والهناء ، حتى يسمعوا طبول الحرب تُقرَع هنا وهناك ، الأمر الذي جعل المستقبل مجهولاً في أوقات كثيرة ، ويحمل الويلات والنكبات والكوارث ، التي تركت الأسى والحزن يخيِّم على أبناء المجتمع في حالات كثيرة . وفي ظل تلك الظروف الخانقة لجأ بعض الماسكين بالسلطة إلى البحث عن وسائل تعيد إليهم الأمل ، وتشعرهم بالأمان ، ومن ذلك اللجوء إلى (التنجيم) ، بحثاً عن التنبؤ بالمستقيل ومعرفة ما يخبِّئ لهم القدر من أحداث ، الأمر الذي جعل من التنجيم سوقاً رائجة ، فزاد الاهتمام بالمنجمين ، حتى أصبحت تنبوءاتهم الفيصل في الكثير من المواقف ، لا سيما في دخول المعارك ، وكشف الخطر الذي يهدِّد السلطة ، من أجل الاستعداد له ، وأخذ الحيطة والحذر ، مثلما حدث مع ملك إشبيلية المعتمد بن عبَّاد ، فقد كان يستعين كثيراً بمنجِّمه أبي بكر الخولاني ، وهنا تذكر الأخبار ((**حينما كانت جيوش المسلمين بالأندلس ، مع حليفهم يوسف بن تاشفين تستعد لخوض معركة الزلَّاقة ، أمر المعتمد منجِّمه أبا بكر بن يحيى الخولاني بأخذ طالع الوقت والنظر فيه ، فوجده أوفق طالع ، فكتب المعتمد إلى يوسف بهذه الأبيات :**

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

غـــــزوٌ عليكَ مـــباركٌ　　　في طيِّه الفتـــحُ القريـــبْ

للهِ ســـيـــفُـــــكَ إنَّه　　　سُخـطٌ على دينِ الصَّليبْ

لا بدَّ مــــن يومٍ يكـــو　　　نُ لـــــه أخٌ يومَ القَلِيبْ))[10]

أمَّا إذا جاءت الأحداث على خلاف ما يتنبَّأ به الخولاني ، فإنَّ المعتمد لا يتردَّد في توبيخه ومهاجمته، ومن ذلك حينما دُخِل عليه البلد ، فتذكر الروايات أنَّ إشبيلية قد هاجمها المرابطون منتصف رجب سنة 484هـ ، فخرج المعتمد لملاقاتهم ، وظلَّت الحال مضطربة بإشبيلية خمسة أيام[11]. وقد أشار ابن بسَّام إلى ذلك بقوله : ((**ثم التوت بالمعتمد الحال أياماً يسيرة ، والناس بحضرة إشبيلية قد استولى علهم الفزع ، وخامرهم الجزع ، يقطعون سبلها سياحة ، ويخوضون نهرها سباحةً ، ويترامون من شرفات الأسوار ، ويتولجون مجابي الأقذار ، حرصاً على الحياة ، وحذراً من الوفاة ، فلمَّا كان يوم الأحد الموفي عشرين من رجب المؤرخ ، دُخِل على المعتمد بعد أن جدَّ الفريقان في القتال ، واجتهدت الفئتان في النزال ، وفي أثناء تلك الحال ، وما كان يناجي باله من البلبال ، خاطب أبا بكر المنجم الخولاني بهذه الأبيات :**

أرَمِـــدْتَ أم بنجُومِكَ الرَّمدُ؟　　　قد عـــــادَ ضدًّا كلُّ ما تَعِدُ

هـــل في حسابِكَ مـــا تُؤمِّلُهُ　　　أم قـــــد تَصَرَّمَ عندكَ الأمَدُ

قد كنتَ تَهمِسُ إذْ تُخاطبُني　　　وتخـــطُّ كَرهاً إنْ عَصَتْكَ يَدُ

فـــالآن لا عـــينٌ ولا أثـــرٌ　　　أتُراكَ غيَّـــبَ شخصَكَ البلدُ

وتراكَ بالعذراءِ فـــي عُـــرُسٍ　　　أم إذ كذبتَ سَطَا بكَ الأسَدُ

المُلْكُ لا يَبقى علـى أحـــدٍ　　　والموتُ لا يَبقى لـــه أحـــدُ))[12]

وهنا ألقت الأجواء السياسية المضطربة بظلالها القاتمة على المعتمد بن عبَّاد ، وأخذ يشعر بقرب زوال ملكه ، فانعكس ذلك على قراراته وتصرفاته ، فبدا مضطرباً منهاراً ، وقد كان الغضب السمة الغالبة على خطابه الموجَّه نحو منجمه الخولاني ، الذي كان مقرباً منه ، فيستمع إليه كثيراً ، ويأخذ بآرائه وتوجيهاته ، إلا أنَّه لم يسلم من سخطه وتوبيخه ، إذ انهال عليه بالتعريض والتجريح ، بلغة انفعالية غاضبة غلب عليها طابع الازدراء والسخرية ، وحملت معها أصداء حالته النفسية المتأزمة ، التي لم يعد بإمكانه إخفاء آثارها ، فعمل على الاستهزاء بمنجمه ، والانتقاص من معرفته بعلم النجوم ؛ لأنَّه لم يتنبَّأ

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

بالواقع المرير الذي كان يداهم إشبيلية ومدن أخرى في بلاد الأندلس ، ولم يستطع إضفاء حالة من الأمل والنصر على المرابطين ، تشعر المعتمد بالاطمئنان النفسي ، مثلما كان يفعل في مواقف سابقة ، إذ كان ما يتنبَّأ به يشكِّل مصدر أمنه وسعادته . لذلك بدأ خطابه الانفعالي باستفهام مجازي هدفه توبيخ أبي بكر الخولاني ؛ لأنَّه عجز عن إنقاذ سلطته من الانهيار ، ولم يكن سبباً في بقائها ، فكان الاستفهام وسيلة أسلوبية وركيزة أساسية في بناء الخطاب الشعري ، بوصفه أسلوباً تعبيرياً ((يتضمَّن طرح الأسئلة والتساؤلات ، فيأخذ بلب المتلقي ، ليلفت نظره لما سيأتي من كلام))[13]. لذلك لجأ المرسِل إلى بث شجونه عبر الاستفهام في أكثر من موضع ، بهدف تجسيد تجربته الشعورية ، عبر البوح بهمومه وهواجسه، وخوفه من المستقبل المجهول الذي كان ينتظره بعد أن ضاقت به الأرض بما رحبت . فضلاً عن ذلك فقد اعتمد على وسيلة أخرى هي التكرار ، إذ كرَّر دال الرمد في موضعين : (رمدت ، والرمد) ، محاولاً عبر هذا التكرار أن ((يبلور موقفه وحالته التي يعيشها))[14]، ويؤكِّد مدى انزعاجه من ضعف قدرات منجِّمه في صنع أجواء إيجابية تخرجه من مأزقه المؤلم ، بعد أن خرجت الأمور من يده ، ولم يعد قادراً على مواصلة الحكم ، وإنقاذه من الضياع . وفي البيت الأخير كرَّر الشاعر (لا يبقى ، وأحد) ، ليكشف عن انفعاله الشديد في ضرورة الإذعان لمعطيات الواقع التي لم تترك له أي مجال للخلاص .

وقد شهدت بلاد الأندلس – وفي مختلف عصورها المتعاقبة — صراعاً محموماً بين الشعراء أنفسهم ، طمعاً في الحصول على المكاسب ، ونيل المغانم عبر العمل في دوائر السلطة الحاكمة ، فكان التنافس السمة الغالبة على علاقة الشعراء بعضهم ببعض ، وأمثلة ذلك كثيرة ، ومن ذلك ما جرى مع الشاعر ابن زيدون إذ انتهز حسَّاده ومنافسيه فرصة موت المعتضد بن عبَّاد ، وانتقال الملك إلى ابنه المعتمد ، فنسبوا بيتين من الشعر في هجاء المعتضد ، وقاموا بدفع رقعة حرَّضوا فيها المعتمد على قتل ابن زيدون ، وكانت الرقعة تحمل أبيات كثيرة منها :

((يا أيُّها الملكُ العليُّ الأعظـــمُ — اِقطعْ وريديْ كُـــــلِّ باغٍ ينأَمُ
واحسمْ بسيفِكَ داءَ كـلِّ مُنافِـقٍ — يُبْدي الجميلَ وضِـدَّ ذلكَ يكتمُ
لا تتركنْ للناسِ موضــعَ شُبْهَةٍ — واحزمْ فمثلِكَ فـي العظائمِ يَحْـزِمُ
قدْ قـالَ شاعرُ كِنْدَةٍ فيما مضى — بيتاً علـــى مَرِّ الليالي يُعْلَـمُ
لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى — حتَّى يُراقَ علـى جوانـبِهِ الدَّمُ

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

فلمَّا سمعها المعتمد ، عرف الغرض الذي إليه قصد ، ووقَّع على ظهر الرقعة ، بهذه القطعة ، وهي من جيِّد نظامه ، وحر كلامه :

كَذَبَتْ مُناكُمْ صَرِّحُوا أو جَمْجِمُوا	**الدينُ أَمْتَنُ والمُــروءَةُ أَكْـــــــرَمُ**
خُنْتُمْ ورُمْتُمْ أن أَخُـــــــونَ وإنَّما	**حَـــــاوَلْتُمُ أن يُسْتَخَـــــفَّ يلَمْلَمُ**
وأردتمُ تضييقَ صَدْرٍ لـــــمْ يَضِقْ	**والسُّمْرُ فــي ثُغَرِ الصدورِ تُحطَّمُ**
وزحفتُمْ بمحالِكُـــــمْ لمُجَـــرِّبٍ	**ما زالَ يثبُتُ في المجـالِ فيَهْزِمُ**
أنَّى رجوتُمْ غَـــدْرَ مَـــن جرَّبْتُمُ	**منهُ الوفاءَ وجَـــورَ من لا يَظْلِمُ**
أنا ذاكُمُ لا البغيُ يُثْمِرُ غَـــرْسُهُ	**عندي ولا مَبــــنى الصَّنيعَةِ يُثْلَـمُ**
كُفُّوا وإلا فـــــارقَبُوا ليَ بَطْشَةً	**يُلْقَى السَّفِيهُ بِمِثْلِها فيُحَلَّـــــــــمُ))[15]**

وهنـا اتَّخـذ المعتمـد بـن عبَّـاد مـن التوقيـع وسـيلة ، لإبـراز حنكتـه في إدارة الدولـة ، وتـدبير الأمـور السياسية، فقد جاء انعكاساً للغضب الذي كان يمور بداخله ، فعمد إلى إبراز حزمه في مُواجَهة المؤامَرات والمكائد التي حاول بعض الشعراء إيهامه بها ، لدواعٍ وغايات شخصية . فالمتآمِرون على الشاعر ابن زيدون حشَّدوا في خطابهم التحريضي مجموعة من الإجراءات اللغوية الدالة على التعبئة ، وشحنوه بالحماسة والعنف ، من أجل أن يكون أشد أثراً وتحفيزاً للمتلقي / المعتمد ، ودفعه إلى تحقيق مآربهم بالانتقام منه ، وتجريده من موقعه في السلطة الحاكمة . إلا أنَّ المعتمد أثبت درايته بالدسائس التي تُحاك ، لذلك سعى إلى إفهام من يسعى إلى فرض إرادته عليه ، أو يحاول تغيير قناعاته بمدى قدرته ويقظته وفطنته الكافية ، التي تعينه على عدم الانجرار خلف المكائد ، وتجعله يضع الأمور في نصابها الصحيح ، بعيداً عن العواطف والمؤثِّرات الأخرى . وما يثير الانتباه في خطاب المعتمد أنَّه – وفي ظل تنامي حالة الغضب لديه – قد وظَّف التعبير الانزياحي ، حينما شبَّه البغي بالزرع ، بهدف تشكيل صورة إيحائية تجسِّد إصراره على تأكيد نفيه القاطع للقبول بأي محاولة يمكن لها أن تعمل على نشوء الظلم بداخله ، مهما كانت الدوافع والغايات والتأثيرات الخارجية . فيما اختار في الصورة الاستعارية الأخرى (**ولا مبنى الصنيعة يُثلَم**) أن يوكِّد استحالة أن ينال أحد من عزيمته ، فيدفعه إلى اتِّخاذ موقف معيَّن بناء على رغبات الآخرين ومصالحهم الذاتية ، فهو أعرف بمن أساء أو أحسن إليه . وقد ختم خطابه الانفعالي

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

بلهجة غاضبة اشتملت على التهديد الصريح ، معلناً عن توجُّهه باستخدام القوة والعنف إذا لم يكف الآخرون عن محاولاتهم الرامية إلى إقحامه في تصفية حسابات خاصة .

ولعلَّ من أشد الأشياء مرارة على الإنسان السجن ، فهو مقبرة الأحياء التي تبعدهم عن مسرح الأحداث ، لذلك يكون مبعث الألم والحسرة ، والأمر يكون أشد ضراوة على المبدعين ، نظراً لما يتمتعون به من رقَّة في المشاعر والأحاسيس ، فضلاً عن دورهم الكبير والمؤثِّر في الحياة بمختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والثقافية ، فما بالك بمن يقدِّم خدمات كبيرة للدولة ، ويتم إلقاؤه في السجن ، فلا شك يكون أثر ذلك مضاعفاً ، وهو ما حدث مع الشاعر ابن زيدون ، بفعل الصراعات والتنافس بينه وبين الآخرين ، الأمر الذي قاد ابن جهور إلى سجنه ، وهو الذي كان يعمل في خدمته ، وقام بمدحه كثيراً ، لكن ذلك لم يشفع له ، وانتهى به الأمر إلى السجن ، ذلك المكان الذي لم يطق العيش فيه ، فخرجت آهاته وانفعالاته الغاضبة ، ردّاً على ما لحقه من أذى وتعسُّف ، الأمر الذي أثار غضبه واستياءه من هذا الإجراء التعسفي ، فكتب بيتين من الشعر وجَّههما إلى ابن جهور ، تضمَّنا موقفه الغاضب ، قال فيهما:

بَنى جَهْوَرٍ! أحْـــرَقْتُمُ بِجَفائِكُمْ جناني ولكـــنَّ المدائحَ تعبقُ

تعدُّونَني كـــالعنــبرِ الوردِ إنّمَا تطيبُ لكمْ أنفاسُهُ حينَ يُحرَقُ![16]

وهنا عمل ابن زيدون على تذكير بني جهور بدوره ، وما قدَّمه من خدمات لهم ، فخاطبهم بطريقة انفعالية ، تضمَّنت استنكاره لما لمسه من إعراض وجفاء ، إذ أنكر عليهم أن يكون فعلهم هذا جزاء لمودته لهم، وقد صوَّر هذا الموقف تصويراً إيحائياً عبر التعبير المجازي بوسائل متعددة بقوله : (أحرقتم بجفائكم جناني) ، إذ اتَّخذ من التنافر الإسنادي سبيلاً فنياً ، عبر استعارة الحرق للقلب ، للتعبير عن سعة حزنه ولوعته ، وما تركه ذلك من أثر عميق على حالته النفسية ، التي بدت مشاعرها مشحونة بالوجع والأسى، فهم أحرقوا قلبه بإعراضهم عنه ، متناسين مدائحه لهم ، وما كانت تتضمَّنه من طيب الثناء ، فكان وقع ذلك كبيراً عليه ، إذ أشعره بالصدمة والحزن ، وولَّد لديه حالة من الوجع والامتعاض الشديد ، كشف عنها حينما خاطب بني جهور بأنَّهم بفعلهم هذا قد أساؤوا إليه رغم حاجتهم إلى مدحه وثنائه ، مشبِّهاً مدائحه بالمنديل الذي قاموا بإحراقه ليتنعموا برائحته الفوَّاحة . وبذلك فإنَّ القهر من أكثر الأشياء تأثيراً على حياة الإنسان ، الذي يبقى ينتظر الفرصة المناسبة للثأر ورد الاعتبار لذاته التي لحقها الأذى وطالها الألم، فيلجأ في بعض الأحايين إلى سلوك طريق المقاومة والمواجهة بمختلف الوسائل المتاحة ، إذ إنَّ

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

((الإنسان المقهور متربص دوماً للمتسلط كي ينال منه ، كلما استطاع وبالأسلوب الذي تسمح به الظروف))[17]. لذلك اتَّخذ ابن زيدون من الشعر وسيلة فاعلة في مواجهة القمع الذي تعرَّض له على يد أبي حزم بن جهور ، فقام بنظم نص شعري آخر جاء انعكاساً لحالته النفسية التي استولى عليها الغضب ، إذ يقول :

قلْ للوزيرِ وقـــدْ قطعْتُ بمدْحِهِ — زَمني فكـــانَ السّجنُ مِنهُ ثَوابي

لا تَخْشَ فـــي حَقّي بِمَا أَمْضَيْتَهُ — مـــنْ ذاكَ فـــيّ ولا توقّ عتابي

لمْ تُخْطِ في أمْرِي الصّوابَ مُوَفّقاً — هذا جـــــزاءُ الشّاعرِ الكذّابِ![18]

وهناك مواقف كثيرة تفرض على المرء حالة من التوتر والانفعال ، لا سيما حين لا يحصل على مراده، بفعل تقاعس الآخر عن أداء ما مطلوب منه ، وعدم شعوره بالمسؤولية المناطة به . فيلجأ الإنسان المتحضِّر أو المثقف إلى وسائل غير مباشرة للتعبير عن غضبه ، إذ يستعيض عن أسلوب الرد العنيف بأسلوب مهذب كالسخرية ، أو الإيماءة ، أو النكتة ، أو الابتسامة ، أو هجوه أو مقاضاته ، بهدف استصغار المغضوب عليه[19]. ومن ذلك الموقف الذي واجهه الشاعر ابن عبد ربّه الأندلسي ، إذ يقول : ((**سألت بعض موالي السلطان إطلاق محبوس فتلكَّأ ، فقلت** :

حـــاشا لمثلِكَ أن يفُـــكَّ أسيرا — أو أن يكونَ مـن الزَّمانِ مُجيرا

لَبِسَتْ قوافي الشِّعرِ فيكَ مدارعاً — سوداً وصَلَّـــتْ أوجُهاً وصُدورا

هلا عَطَفْتَ برحمـــةٍ لمّا دَعَـــتْ — وَيلاً عليكَ مدائحــــي وثُبُورا

لو أنَّ لُؤمكَ عـــادَ جُوداً عُشْرُهُ — ما كانَ عندكَ حـــاتمٌ مذكورا))[20]

وهنا تبدو نزعة الغضب واضحة على خطاب الشاعر ، الذي جاء بناء على موقف شعر معه بالخيبة والإحباط ، لعدم قدرة الشخص المقصود بالخطاب على تلبية طلبه بإطلاق سراح أحد السجناء ، الأمر الذي أغضب الشاعر ، فعمد إلى إفراغ ما يجيش بداخله من انفعالات ، وسبكها في نص شعري ، يتَّسع لمشاعره الناقمة التي أخذت بالتزاحم ، ولم يعد بمقدوره كبتها ، واحتواء هيجانها ، لذلك لم يتأخَّر كثيراً في إطلاقها ، لتأخذ طريقها إلى المتلقي ، فيكون ذلك عملاً إشهارياً يرمي إلى تعريف الآخرين بحقيقة من عجز عن أن يكون على قدر المسؤولية ، فسارع إلى الإيغال كثيراً في هجائه وازدرائه ، عبر صياغة شعرية جاءت محمَّلة بدلالات الاستهجان والنقمة والاحتقار ، فاتَّخذ من إيحائية الصورة الاستعارية وسيلة فنية

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 02. بتاريخ 2021/04/01م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تهدف إلى تقبيح صورة من خذله ، ولم يعمل على إرضائه ، حينما شبَّه قصائده بالإنسان وقد لبس مدارعاً سوداً ، وقام بالصلاة ، وفي ذلك إشارة إلى رغبة الشاعر في استصغار الآخر / المهجو وإهانته ، جاعلاً من إيحاءات اللون الأسود علامة على سعة غضبه وانزعاجه ، فعمل على الإفادة من دلالاته الرمزية التي تشير إلى ((الحزن والألم والموت))[21]، في تعضيد دلالات الصورة الاستعارية ، وتأكيد الجانب الإيحائي فيها ، لكي تصبح أكثر تأثيراً ، وأشد وقعاً على المتلقي ، انطلاقاً من أنَّ ((التعبير بالألوان كثيراً ما يكون وسيلة من وسائل التعبير الرمزي ، لما لها من إيحاءات خاصة))[22]، تعمل على منح النص المنتَج تكثيفاً دلالياً ، وفاعلية تعبيرية تترجم حالة الضيق النفسي الذي أصاب الشاعر ، الأمر الذي يؤكِّد أنَّ توظيف اللون داخل الصورة الشعرية لم يكن شيئاً اعتباطياً ، ويخلو من المقاصد والدلالات، بل إنَّ ((اختيار اللون داخل في إطار الرؤية التي ينطلق منها الشاعر))[23]، ونابع من تجربته الشعورية ، فيعمل المبدع على إضفاء البعد النفسي على نصه عبر اللون الذي يختاره ، وكيفية مزجه مع عناصر النص الأخرى . وقد عزَّز الشاعر صورة الاحتقار هذه بصورة استعارية أخرى تمثَّلت بقوله : (**دعت ويلاً عليك مدائحي وثبورا**) ، مُشبِّهاً أشعاره المدحية بالإنسان حينما منحها فعل الدعاء ، الذي هو عمل عبادي يرتبط بنشاطات الإنسان ، وذلك تلبية لرغبته الجامحة نحو تأكيد معانيه الهجائية الساخرة، وما تصوير قصائده في صورة الداعي بالويل والثبور إلا دليل على تصاعد حالة الغضب ، وهيمنتها على خيال الشاعر ، فعكسها في أدائه الشعري .

المبحث الثاني / المثيرات الاجتماعية

ممَّا لا شك فيه أنَّ الإنسان يواجه في حياته تحولات كثيرة ، سواء على مستوى الجسد ، وانتقاله من مرحلة عمرية إلى أخرى ، أو على مستوى العمل والمعيشة وغيرها ، فيتعرَّض في بعض الأحايين لضغوط متنوِّعة تثير بداخله الحزن والألم ، فتتم ملاحظتها في لحظات انفعاله وغضبه . والشاعر يستطيع تصوير ذلك عبر آليات الشعر وأدواته الفنية ، لذلك فإنَّ هناك عوامل اجتماعية كثيرة أسهمت في دفع عدد من الشعراء الأندلسيين إلى البوح بغضبهم ، فكان لها أثر بيِّن في كيفية صياغة خطابهم الشعري ، ومن تلك الدوافع (الشيب) ، بوصفه باعثاً من بواعث إثارة الانفعالات ، إذ غالباً ما يؤدِّي إلى فقدان حالة التوازن النفسي ، فيعمل على تأدية دور كبير في خروج المشاعر عن الضبط ، إذ إنَّ مرحلة الشيخوخة ترتبط ((بسأم الشاعر من الحياة ، وهي أعتى حالات اليأس ، وفيه تكشف الذات الشاعرة عن رغبة ضعيفة في الاستمرار والبقاء ، لضياع الآمال وتبددها ، واشتداد الأزمات ، ومعاكسة الظروف))[24]،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وغياب الاحساس بالجمال ، فتتولَّد لديه حالة من الحزن والألم ، يحاول التعبير عنها بذم الشيب ، والتململ من رؤيته . وقد كانت الشيخوخة من أكثر الأشياء التي تثير اشمئزاز الشاعر يحيى بن حكم الغزال ، لا سيما حينما يرتبط الأمر بالجانب الغزلي ، وقد دافع عن موقفه هذا في أكثر من موضع ، فما أن يكون في موقف غرامي حتى تنهال مشاعره التي تنبعث بقوة ، فنراه يقول في أحد المواقف :

قالَتْ أُحِبُّكَ قلْتُ كـاذبةً غُرِّي بذا من ليسَ ينتقدُ

هذا كـــلامٌ لسْتُ أقْبَلُهُ الشَّيخُ ليس يُحبُّهُ أحَـدُ(25)

لقد أيقن الشاعر أنَّ تقدُّم العمر من أشد الأشياء التي تؤرِّقه في حياته ، إذ أصابه بشيء من القلق والاضطراب والتأزُّم النفسي ، وهو العالم بضعفه وعجزه وخوار قواه ، فأخذ يشعر بالإذلال في علاقته العاطفية مع النساء ، ويرى أنَّها عديمة الجدوى والفائدة ، انطلاقاً من أنَّ الطاعن في السن يعلم أنَّه قد غادر عصر القدرة والقوة ، ففقد مركزيته وشموخه ، وتعرَّضت سلطته للزوال ، فتحوَّل من آمر إلى مأمور ، ومن مُهيمِن إلى مُهيمَن عليه ، وليس أمامه سوى الخضوع لمن هو دونه . لذلك فإنَّ انحطاط مكانته يعود إلى الضعف الذي طرأ عليه في كبره(26). الأمر الذي دفع الشاعر إلى إبداء رأيه من دون إبطاء ، وأعلن عن رفضه للعرض الغزلي الذي قُدِّم له من إحدى النساء ، عبر المحاورة التي دارت بينهما ، فكان حازماً في الدفاع عن أفكاره ورؤاه بأسلوب غاضب ، ومليء بالحسرة والندم على ضياع أيام النضارة والشباب . وقد تجلَّى غضبه بقوله : (**قالت أحبُّكَ قلْتُ كاذبةً**) ، إذ إنَّ قيامه بنعت المرأة التي أباحت له عن مشاعرها بالكاذبة ينبئ عن حالة انفعالية ضاغطة كان يعيشها الشاعر ، أنتجت شعوراً غاضباً جاء نابعاً من ذات غلب عليها التأزُّم النفسي ، بعد أن عبثت بها الشيخوخة ، فأفقدتها الاستمتاع بالجمال الأنثوي ، وأحالتها إلى ذات محطَّمة ، غلبت عليها حالة التشظِّي ، والشعور بالعدمية والزوال .

ويبدو أنَّ العوز من أكثر الأشياء مرارة على الشعراء ، فقد اضطر عدد من الشعراء الأندلسيين إلى العمل في مهن لم تكن تتلاءم مع طموحاتهم ، ولم تفِ بمتطلبات الحياة ، فسبَّب لهم ذلك حالة من النكد والقلق والتشاؤم ، وإحساس بالغربة ، ومن أبرز أولئك الشعراء ابن صارة الشنتريني ، وقد ذكر ابن بسَّام صورة من معاناته بقوله : ((**فلمَّا كان من خلع الملوك ما كان ، أوى إلى إشبيلية أوحش حالاً من الليل ، وأكثر انفراداً من سهيل ، وتبلَّغ بالوراقة وله منها جانب ، وبها بصر ثاقب ، فانتحلها على كساد سوقها ، وخلو طريقها ، وفيها يقول :**

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أمَّا الوراقةُ فهي أيكةُ حرفــةٍ   أوراقُها وثمارُها الحرمــــــانُ

شبَّهْتُ صاحبَهَا بصاحبِ إبرةٍ   تكسو العُراةَ وجسمُها عـريانُ))[27]

لقد أصبح النص الشعري مرآة عكست ما يعانيه الشاعر من آلام الفقر وشظف العيش ، بفعل كساد عمله ، وعدم قدرته على تلبية رغباته ومتطلبات حياته ، فضاق ذرعاً ، ولم يعد يحتمل بقاء هذا الواقع المؤلم ، لذلك لم يتوانَ في إظهار تذمره وسخطه ، فأطلق العنان لمشاعره الناقمة لتوثيق معاناته عبر الاستعانة بموهبته الشعرية ، فعمل على بث شحنات من غضبه التي تجلَّت في ذم مهنة الوراقة ، فوصفها بأنَّها من أسوأ المهن ، التي لا تدر على صاحبها شيئاً سوى الفاقة والحرمان . وقد عبَّر الشاعر عن انفعاله وألمه عبر التعبير الإيحائي ، فلجأ إلى التصوير البياني ، انطلاقاً من أنَّ الصورة ((أداة أساسية من أدوات الشاعر في تشكيل رؤيته الشعرية تشكيلاً فنياً ، والإيحاء بالأبعاد المختلفة لهذه الرؤية))[28]. فاستعان بالصورة الاستعارية ، حينما شبَّه حرفته بالشجرة ، وأتى بصورة استعارية أخرى حين جعل لأوراق الشجرة وثمارها الحرمان ، فجاء المعنى مكثفاً أغنى عن التفصيل ، ليدخل المتلقي في بؤرة معاناته ، وهذا ما قصده الشاعر ؛ لأنَّ الصورة كلما كانت أكثر ارتباطاً بالشعور المسيطر على المبدع ، أصبحت أقوى صدقاً ، وأعلى فناً ، وأوسع تأثيراً[29]، الأمر الذي أسهم في إضفاء الفاعلية على النص الشعري ، ومنحه طاقة دلالية جعلته مكتنزاً بالحزن واللوعة ، ممَّا أسهم في تجسيد مشاعر الشاعر وأحاسيسه . وبما ((أنَّ الصور في داخل العمل الفني ماهي إلا تجسيد للتجربة أو للحظة الشعورية التي يعانيها الفنان))[30]، فقد لجأ الشاعر إلى الصورة التشبيهية لتجسيد موقفه الشعوري عندما شبَّه من يعمل بالوراقة بصاحب الإبرة ، وشبَّه بؤس العمل في الوراقة بالإبرة ، حين تكون مهمتها إكساء العراة ، لكنَّها تبقى دائماً في حالة التعرّي ،كذلك الوراقة تسهم في تثقيف الناس ، إلا أنَّها تجلب لصاحبها العوز والحرمان .

ومن الجدير بالذكر أنَّ أي توتر عدواني ينتج عن الإحباط يولِّد حالة من القسوة ، تتناسب شدَّتها مع درجة الإحباط ، وتزداد حدَّتها مع تنامي عناصره[31]، لذلك تلجأ الذات المحبطة إلى العنف ، بوصفه وسيلة ردع تتيح لها الإفلات من مأزقها ، ومن خطر الاندثار الداخلي الذي يتضمَّنه هذا المأزق ، فيعمل على إعادة شيء من الاعتبار المفقود إلى الذات ، وفي أحايين كثيرة يكون العنف لغة التخاطب الأخيرة الممكنة في التعامل مع الآخرين ، لا سيما حين يشعر المرء بالعجز عن إيصال صوته عبر وسائل الحوار الطبيعي معهم ، وحين تترسَّخ لديه القناعة التامة بالفشل في إقناعهم بقيمته ودوره[32]، ولا فرق في ذلك بين استخدام أدوات السلاح ، وبين توظيف لغة التهديد التي تحمل في دلالاتها معاني العنف . وهو

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الأسلوب الذي لجأ إليه الشاعر ابن زيدون ، إذ كتب قصيدة طويلة إلى أبي عامر بن عبدوس منافسه في حب ولادة ، ضمَّنها عتبه وتحذيره ، مذكراً إياه بدوره ، فكانت مليئة بمعاني العنف والتهديد ، إذ يقول :

أثَرْتَ هِزَبْرَ الشَّرَى إذْ رَبَـــضْ ... ونَبَّهْتَهُ إذْ هَــــدَا فاغْتَمَضْ

وما زِلْـــــتَ تَبسُطُ مُسْتَرْسِلاً ... إليهِ يَدَ البَغْيِ لمَّا انْقَبَـــضْ

حَذَارِ حَذَارِ فإنَّ الكـــــــريمَ ... إذا سِيْمَ خَسْفَاً أبَى فـامْتَعَضْ

فإنَّ سُكُونَ الشَّجــاعِ النَّهُوسِ ... ليسَ بِمَانعِهِ أنْ يَعَـــــضّ

وَإنّ الكَواكِــــبَ لا تُسْتَزَلّ ... وَإنّ المَــــقَادِيرَ لا تُعْتَرَضْ

إذا رِيعَ فَلْيَقْتَــصِدْ مُسْـرِفٌ ... مساعٍ يُقَصِّرُ عنها الحَفَـضْ

وهلْ واردُ الغَمْرِ مــــنْ عِدِّهِ ... يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشِــفُّ البَرَضْ؟

إذا الشّمْسُ قابلْتَهَا أرْمَــــدَاً ... فَحَــظُّ جُفُونِكَ في أنْ تُغَضّ

أرى كُلّ مُجْـــرٍ أبَا عَــامِرٍ ... يُسَرُّ إذا فـي خَــلاءٍ رَكَـضْ

أُعِيذُكَ مِـــنْ أنْ تَرَى مِنْزَعي ... إذا وَتَري بِالمَنَايَا انْقَـــبَضْ

فإنّي ألينُ لمــــنْ لانَ لـــي ... وَأتْرُكُ مَنْ رَامَ قَسْرِي حَــرَضْ

وَكَمْ حَرّكَ العِجْبُ مِنْ حَــائنٍ ... فغادرْتُهُ مـــا بِهِ مــنْ حَبَضْ[33]

لقد كشف النص عن استياء ابن زيدون ، وتحامله على ابن عبدوس ، فكان الوعاء الذي امتص غضبه ، واتَّسع لتصوير خوالج نفسه وآهاته ، فانطلق بحزم وقوة نحو تجسيد حالته الشعورية ، التي اجتاحها الغضب ، فأخذ على عاتقه استعراض قدراته وقوته في محاولة لكبح جماح ابن عبدوس ، وتحجيم نشاطه وحركته ، بعد أن شعر بخطره ، وهو ينافسه في حب ولادة ، لذلك كان خطابه صدى لحالة الصراع والتنافس التي نشبت بينهما ، وقد عكست لغة التهديد التي تحدَّث بها ابن زيدون حقيقة ذلك الصراع ، فكان يمر بحالة من الغليان العاطفي التي نشبت بداخله ، فظهرت جلياً في النص عبر إيراد ألفاظ التهديد والترهيب والتخويف ، لذلك قد يلجأ الإنسان إلى أسلوب العنف ((للتعبير عن شعوه بالإحباط الذي يعانيه ، أو لتفريغ شحنات التوتر والانفعال عنده))[34]. ويتجلّى ذلك في طريقة اختيار الألفاظ الدالة على العنف ، إذ ابتدأ الشاعر خطابه بقوله : (**أثرت هزبر الشرى إذ ربض**) ، فابن عبدوس قد أثار الأسد وجعله ينهض من مكانه غاضباً كما يذكر ابن زيدون ، الذي أكمل هذه النزعة الحماسية الغاضبة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

بقوله : (**ونبَّهته إذ هدا فاغتمض**) ، لذلك ما على ابن عبدوس إلا أن يتلقى نتائج أفعاله ، ويتهيأ لملاقاة صولة الأسد الذي لم يعد رابضاً في عرينه ، وقد خرج عن صمته ليذيق من أراد به السوء الويل ، ولم يتوقف عن تماديه ، وقد مدَّ يد الظلم لمن هو ساكن في مكانه . بعد ذلك أفصح الشاعر عن شدة غضبه ، ودخل في أجواء البوح بمكنونات نفسه عبر أسلوب التحذير ، فكرر لفظة (حذار) في خطابه التحذيري ، من أجل إبلاغ منافسه أنَّ كريم النفس لا يمكن له أن يحتمل الإهانة من الآخرين ، وإذا ما تعرَّض لها انتفض وغضب غضباً شديداً . محذراً خصمه من أنَّ هدوء الشجاع لا يدوم طويلاً ، إذ بإمكانه عض من يحاول الاعتداء عليه ، وفعل (العض) يعد تعبيراً رمزياً يحمل رسالة تحذيرية غاضبة ، تستبطن نزعة التهديد والعنف .

وبناء على ذلك فإنَّ السياق العاطفي هو من يحدِّد درجة الانفعال قوة وضعفاً ، إذ يتم اختيار الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية ، حينما يكون الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال ، ومثال ذلك أنَّ المتكلم الذي يكون في حالة من الشعور الجامح يغالي كثيراً في توظيف كلمات معيَّنة لا يقصد معناها الحقيقي ، وإنَّما يحمِّلها ما يعتوره من اندفاع وغضب . فيأتي بألفاظ مقصودة تحمل دلالات (القتل والذبح والاحتقار الشديد) ، من دون أن يقصد دلالتها الموضوعية ، إذ لا يعدو ذلك كونه مبالغة في التعبير عن حالته العاطفية ، وتكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية(35)، لذلك عمد ابن زيدون في هجومه اللاذع على خصمه إلى إفراغ ما يجيش بداخله من مشاعر النقمة ، عبر توظيف لغة شعرية مليئة بالدلالات الرمزية ، تمثَّلت بـ (هزبر الشرى ، والشجاع النهوس ، والكواكب ، والمقادير ، والشمس) التي تؤكد رغبة الشاعر في تأكيد دلالات القوة التي يتمتع بها . وفي المقابل نجد هناك دلالات رمزية متعدِّدة عمد الشاعر إلى إلصاقها بخصمه ، للإيحاء بضعفه وعدم قدرته على مواجهته ، تجلَّت في توظيف رمزية (الجمل الصغير)، الذي يشير به إلى ابن عبدوس ، بهدف رسم صورة بائسة تشير إلى تأكيد دلالات عدم قدرة خصمه على مواجهته. وفي السياق نفسه قام بتحذيره من ممارسة المكر والخداع ، فدعاه إلى أن يقتصد ولا يبالغ كثيراً في ذلك ؛ لأنَّه غير قادر على تحمل تبعات أفعاله. ووظَّف في صورة أخرى من قصيدته تعبيراً رمزياً آخر تمثَّل بـ (رمد الجفون)، وقد تضمَّن نزوع الشاعر نحو التهديد والتحذير، وهو يخاطب منافسه ليخبره أنَّ من في عينيه الرمد لا يمكنه مواجهة الشمس ، التي رمز بها إلى قوَّته وشجاعته وقدرته على التعامل مع من يريد الإساءة إليه .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ومن الأشياء التي لابد من ذكرها ، هو أنَّ للعشق ناراً مستعرة لا تخمد جذوتها ، ولا يخفت لهيبها ، إلا في لحظات اللقاء والتواصل . لكن في ظل أجواء البعد والفراق ، وحينما يحدث أمر ما يكدِّر صفو العلاقة بين العاشقين ، سواء بفعل الحسَّاد والوشاة ، أو عندما تصدر إساءة ما من أحد العاشقينِ تجاه الآخر ، فإنَّها تزداد ضراوة ، ويشتد أوار الحزن والألم ، وتزداد حدَّة الغضب ، التي ينعكس أثرها على أداء الإنسان ، وتظهر ملامحها جليَّة في خطابه ، فيكون ترجمة للمشاعر الغاضبة التي تنتابه ، وهو ما حدث مع الشاعرة ولادة ، فتذكر الروايات ((**كانت لها جارية سوداء بديعة المعنى ، فظهر لولادة أنَّ ابن زيدون مال إليها ، فكتبت إليه :**

لو كنتَ تنصفُ في الهوى ما بينَنا — لم تهوِ جـــــاريتي ولــم تتخيَّرِ
وتركتَ غصــــناً مثمراً بجمالِـــــهِ — وجنحـــتَ للغصنِ الذي لم يثمرِ
ولقــد علمـــتَ بأنَّني بدرُ السما — لكـــن ولعتَ لشقوتي بالمشتري))[36]

الملاحظ أنَّ ولادة كثيراً ما تلجأ إلى توظيف جسدها ، وجعله العنصر الأساس في خطابها الشعري ، انطلاقاً من أنَّ ((الجسد أحد تمثُّلات الذات ، وغياب التعبير عن الجسد إنَّما يمثِّل إقصاء لكينونة الذات التي تتَّخذ الجسد تموضعاً لها لتسكنه ، فإقصاء الجسد إنَّما هو تهميش للذات ، ومسبِّب لاهتزاز كينونتها ، فالجسد يكتمل بالانفعال والفكر والرغبة واللذة جميعاً ، وبغياب أي عنصر من هذه المكونات يصير الإنسان ناقصاً ، وفي حاجة ملحة إلى تعويض نقصه ،كي ما يقع فريسة الأمراض النفسية والبيولوجية التي هي انعكاس للأمراض وللقلق النفسي))[37]. ويعتقد بعض الدارسين أنَّ ولادة كانت تبحث عن إثارة الرجال وجذب اهتمامهم ، وابن زيدون أحدهم ، بحثاً عن الشهرة والبروز ، وقد اتَّخذت من جسدها سبيلاً للوصول إلى المجد الذي تصبو إليه ، فتكون قبلة للعاشقين والمعجَبين ، وربَّما تعمد إلى ذلك بدافع النرجسية والتعالي . إذ إنَّ الشائع عنها أنَّها تحب نفسها أولاً ، فهي مُتعالِية ، وتتصرَّف وكأنَّها أميرة حتى حين تعاتب حبيبها[38]. لذلك أغاضها إهمال ابن زيدون لها ، وميله لجاريتها السوداء ، فأثار ذلك غضبها ، وأشعل بداخلها نار الألم والسخط ، فكتبت نصاً شعرياً يحمل تداعيات موقفها الشعوري ، ويجسِّد حالتها النفسية التي هيمنت عليها مشاعر الرفض للواقع الذي حاول فرضه ابن زيدون عليها ، إذ إنَّ ((كتابة النص تأتي من منطلق نفسي في الأساس ، لإقصاء حالة شعورية ، أو لتلبس حالة أخرى ، وكلتا الحالتين تمثِّل محاولة للتغيير))[39]. فجاء النص الشعري مليئاً بالتوتر الانفعالي ، إذ كشف عن رؤية غاضبة ساخطة ، فكان الشعر وسيلة الشاعرة للبوح بمشاعرها وأحاسيسها ، وفسح المجال للكشف عن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

انفعالاتها الغاضبة ، فهي تعتقد أنَّ لا مقارنة بينها وبين جاريتها على وفق مقاييس الجمال التي اعتمدتها الثقافة الفحولية ، فعمدت إلى الانجرار خلف تلك الثقافة ، والركون إلى معطياتها واشتراطاتها ، فـ ((الجمال من ضمن طقوس الولوج إلى الجسد الحسي ؛ لأنَّ الأنثى إن لم تكن جميلة على وفق مرجعيات الثقافة الفحولية ، تُستبَعد من أنساق الثقافة الأدبية ، وتصبح في حاشية دونيتها))(40). وقد أكَّدت ذلك عبر قولها : (**وتركتَ غصناً مثمراً بجمالِهِ**) ، وقولها : (**ولقد علمتَ بأنَّني بدرُ السما**) ، فاستعارت من الطبيعة الساحرة (الغصن المثمر) ، و(بدر السماء) ، فشبَّهت نفسها بهما ، بهدف إثارة الآخر/ ابن زيدون ، ولفت انتباهه ، وتذكيره بجمالها . ولم يقتصر الأمر على التغني بجمالها فحسب ، بل عملت على تأكيد ذلك عبر تفعيل ثنائية (الجمال والقبح) في الجسد الأنثوي ، بغية بيان الفوارق بينها وبين جاريتها ، التي جعلتها في الهامش بفعل خلوُّها من معايير الجمال الأنثوي ، التي ركَّزت عليها الثقافة الذكورية كثيراً ، وقد عبَّرت عن ذلك في معرض تأنيبها لابن زيدون بقولها : (**وجنحتَ للغصنِ الذي لم يثمرْ**) ، وقولها : (**لكن ولعتَ لشقوتي بالمشتري**) ، بما يؤكد مدى غضبها وحزنها ، الأمر الذي قادها إلى البوح بمشاعرها ، وتجسيد انفعالاتها حتى لو كان ذلك على حساب بنات جنسها .

وفي مواضع أخرى ، نجد أنَّ آليات التعبير الجمالية حاضرة في خيال بعض الشعراء ، فيتم الإفادة من إمكاناتها الإيحائية ، عبر توظيفها في مواطن الصراع بين الشعراء ، لا سيما في المواقف التي يقوم بها بعضهم بالتقليل من شعر شاعر آخر ، والطعن بجودة قصائده ، وهو ما حدث مع الشاعر ابن الحداد الأندلسي ، الذي ناله الأذى من منافسيه ، فردَّ عليهم قائلاً :

عَجِبْتُ لِغَمَّازِيْنَ عِلْمِـي بِجَهْلِهِمْ   وإنَّ قناتي لا تلينُ علـى الغَمْزِ
تجلَّتْ لهمْ آياتُ فهـمي ومنطقي   مُبَيِّنَةَ الإعجـازِ مُلْزِمَةَ العَجْزِ
ولاحـتْ لهم هَمْـزِيَّةٌ أَوْحَـدِيَّةٌ   ووَيْلٌ بها وَيْلٌ لذي الهَـمْزِ واللَّمْزِ
رَمَوْهَا بِنَقْـصٍ بَيَّنَتْ فيه نَقْصَهُمْ   ومن لَمَسَ الأفْعَى شَكَـا أَلَمَ النَّكْزِ
وإنْ أنكَرَتْ أفهامُهُمْ بعضَ همزِها   فقد عَرَفَتْ أكبادُهُمْ صِحَّـةَ الهَمْزِ(41)

يبدو أنَّ الشاعر ابن الحداد لم يستطع غض الطرف عن الانتقادات التي وجَّهها بعض الشعراء لقصيدته الهمزية كما ذكر في النص السابق ، فأخذ على عاتقه ردع من تطاول عليها ، ورفض أي محاولة للمساس بها من جهة ، وتسليط الضوء على قيمتها الفنية ، والإشادة بجمالها من جهة أخرى . لذلك

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

حمل خطابه الشعري حالة من الهيجان والانفعال ، إذ هيمنت على أدائه التعبيري الرغبة الشديدة نحو إزاحة الغبن الذي لحقه من الآخرين ، فأفرغ ما يجيش بداخله بحرقة وغضب ، وقد تجلّى ذلك عبر الأداء الأسلوبي ، والبنى الصياغية التي وظّفها في مقطوعته الشعرية . فابتدأ حالة الانفعال بالرد على منتقديه عبر الإشادة بموهبته الشعرية ، إذ عمل على إظهار تعجبه ممّن حاول الطعن بمنزه الإبداعي ، فغاب عليهم أنّهم لم يكونوا على معرفة تامة به ، ولم يعرفوا جيداً قوته وصلابته ، لذلك وصفهم بالجهل ، بعد أن عجزوا عن فهم قصيدته ، وذلك لبلاغتها التي فاقت مداركهم وتصوراتهم على حد قوله . وعلاوة على ذلك فهم ليس باستطاعتهم صوغ قصائد على غرار قصيدته مهما اجتهدوا وكدوا أذهانهم . وبعد ذلك أخذ خطابه يزداد حدَّة وتعريضاً عبر التناص مع النص القرآني ، مُتمثّلاً بقوله تعالى : ((**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**))(42). والإفادة من فيضه الدلالي ، إذ استقى منه دلالات التهديد والوعيد التي تحملها لفظة (ويل) ، وقام بتوظيفها في نصه الشعري ، بهدف مهاجمة خصومه وتهديدهم ، وذلك لتصديهم له وهو أرفع منزلة منهم كما يعتقد . والملاحظ في النص الشعري أنَّ مستوى غضب الشاعر قد ازداد حينما وظَّف رمز الأفعى ، انطلاقاً من أنَّ الرمز ((يكون لغرض الإيحاء ، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة))(43). فقد شبَّه الشاعر نفسه بالأفعى التي لا يمكن لمسها ؛ لأنَّ ذلك يسبِّب ألماً ، وفي ذلك تهديد إيحائي أفرزه التعبير الرمزي ، الذي حمل في مقاصده دعوته لخصومه ألا يتعرَّضوا له ، ولا يعتدوا على قصائده ، فذلك سيقودهم إلى الهلاك .

وفي بعض الأحايين قد تُصاب علاقة الود والصفاء بين الشعراء الأصدقاء بنوع من العتاب الغاضب ، وعندئذٍ يتحوَّل الخطاب الشعري إلى وسيلة لمهاجمة الآخر ، في محاولة لرد الاعتبار ، وإعادة الحقوق إلى أصحابها ، والأمور إلى مسارها الصحيح ، وهو ما جرى بين الشاعرين صفوان بن إدريس ، وابن مرج الكحل ، إذ كانت تسود بينهما حالة من الوئام ، وقد عبَّرا عن ذلك في مواقف كثيرة ، ومن ذلك ما قاله صفوان مادحاً له :

وإلا فشعرٌ قـــــد أعـــارتْهُ عينُها فإنَّ ابنَ مــرجِ الكحلِ بالسِّحرِ نافثُ
أما والذي أعطاهُ فـــي الشِّعرِ غايةً أماني ابنِ حُجـرٍ عــن مداها روائثُ(44)

فيما أشار في موضع آخر من القصيدة ذاتها إلى عمق أواصر المودة والاحترام التي تربطه بالشاعر ابن مرج الكحل ، ومدى استعداده للدفاع عنه ، إذ يقول :

متى رُمــتَ بي نصراً تُجبْكَ ثلاثةٌ لساني وودِّي والسِّريجيُّ ثالــثُ(45)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

إلا أنَّ هذا الأمر لم يدم طويلاً ، وبدأ الخلاف يدبُّ بينهما فتذكر الروايات أن ((**اتفق نسب أبي بحر صفوان بن إدريس مع نسب الشاعر محمد بن إدريس المعروف بابن مرج الكحل في اسم الأب إدريس ، وقد حاول ابن مرج الكحل استغلال هذا الاتفاق ، فعاتبه صفوان بقوله :**

يا سارقاً جاءَ في دعـواهُ بالعجَبِ سامحتُهُ فـي قريضي فادَّعى نسبي

يُنمَى إلـى العربِ العرباءِ مُدَّعـياً كـذاكَ دعـوتُهُ للشعرِ والأدبِ

يا أيُّها المرجُ دعْ للبحـرِ لؤلـؤهُ فالدرُّ للبحرِ ذي الأمواجِ والصخَبِ

هـبْ أنَّ شعرَكَ شعري حينَ تسرقُهُ أنَّى أنا أنـتَ أو أنَّى أبوكَ أبي))[46]

وهنا لم يستطع صفوان إخفاء غضبه ، فخرج عن صمته ، بعد أن سمع بقيام ابن مرج الكحل بانتحال نسبه ، وقد حدث ذلك عقب موقف رواه ابن الأبَّار بقوله : ((إنَّ المنصور لما سمع مدح أبي بحر ورثاءه للحسين أراد الإحسان إليه ، وتسبَّب بالرؤيا لئلا يكثر عليه الشعراء ، وادَّعى عندها محمد بن إدريس المعروف بابن مرج الكُحل أنَّه ذلك لتوافق اسمَيْ أبويهما))[47]. وقد أثار هذا الموقف حفيظة صفوان بن إدريس ، فأنتج حالة من السخط والغضب ، لذلك تخلَّى عن مواقفه السابقة التي كان يشيد بها بشاعرية ابن مرج الكحل ، وقدرته على نظم الشعر ، وتفوُّقه في ميدانه وأغراضه المختلفة . فعمد إلى تحشيد طاقته الشعرية ، من أجل البوح بما يجيش بداخله من حرقة قادته إلى مهاجمة من أغضبه ، وقد ركَّز على مسألة السرقة ، فابتدأ خطابه بأسلوب تعبيري غاضب (يا سارقاً) ، بما يعكس مدى الغيظ الذي كان يملأ قلبه ، وأخذ يلح على تفكيره ، حتى انبعث محمَّلاً بالسخط والاستهجان . وقد واصل تجسيد مشاعره الغاضبة عبر وسائل فنية متعدِّدة ، تمثَّلت بتوظيف التكرار في أكثر من موضع في النص ، فقد كرَّر فعل الادِّعاء وبصيغ مختلفة هي (دعواه ، فادَّعى ، مُدَّعياً ، دعوته) ، فضلاً عن ذلك فقد كرَّر البحر (للبحر ، للبحر) ، والشعر (شعرك ، شعري) ، و(أنَّى ، أنَّى) ، والأب (أبوك ، أبي) . والتكرار هنا مثَّل وسيلة تعبيرية لها مسوغاتها ودلالاتها وغاياتها المقصودة ، التي تهدف إلى تعرية الآخر / ابن مرج الكحل وتجريده من النسب العربي الأصيل والإبداع الشعري ، وبيان أنَّ كل ما جاء به من باب السرقة والتعدِّي على نتاج الآخرين ، وقام بادِّعاه ونسبه لنفسه ، فضلاً عن التأكيد على أنَّ لا مجال للمقارنة بينه وبين ابن مرج الكحل على مستويي النسب والشعر . فيما كان التعبير الرمزي حاضراً في النص ، عبر الإفادة من توظيف الأبعاد الرمزية في الطبيعة ، من ذلك (البحر ، واللؤلؤ ، والدر ، والأمواج

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

، والصخب) ، وهي تحيل في مغزاها الدلالي إلى علو شأنه ، وتوحي بمكانته الشعرية ، فهو البحر في سعته وقدرته ، أمَّا الدر واللؤلؤ ، فهما قصائده في جمالها وبهائها ، وهو يخاطب ابن مرج الكحل أن يدع الشعر لأهله ، وفي ذلك صرخة غاضبة أطلقها الشاعر ، من أجل إعادة هيبته التي تم الاعتداء عليها ، والانتقاص منها . وقد تجلَّت جماليات الصورة الغاضبة بأبهى صياغة تعبيرية عبر التشكيل الإيحائي ببعده الرمزي (**فالدر للبحر ذي الأمواج والصخب**) ، وفي ذلك إشارة رمزية قصدها الشاعر للإيحاء بقوّته وقدرته على كبح جماح كل من يحاول ادِّعاء نسبه ، أو النيل من شعره .

الخاتمة

وبناء على ما سبق ذكره يتَّضح أنَّ الغضب يمثِّل حالة انفعالية تنتاب بعض الشعراء في لحظات معيَّنة ، ويأتي ردَّاً على مثيرات مختلفة يكون مصدرها — في بعض الحالات - الآخر سواء أكان اجتماعياً (الحساد والوشاة والحبيب) ، أو سياسياً (السلطة الحاكمة تارة ، والمنافسين لها تارة أخرى) . وكل هذه المثيرات تعمل على دفع عدد من الشعراء إلى اتِّخاذ موقف معيَّن ، يعبِّرون عبره عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، ويكشفون عن كيفية تعاملهم مع تداعيات مواقف الغضب ، فيعملون على بيان ما لحقهم من أذى أو تهميش أو اعتداء ، الأمر الذي ينعكس على طريقة تشكيل خطابهم الشعري ، فيكون في الغالب مليئاً بالتوتر ، ومشحوناً بالانفعالات والمشاعر الغاضبة .

وقد لاحظنا فيما سبق أنَّ الشعراء الأندلسيين عبَّروا عن غضبهم ، وأطلقوا العنان لمواهبهم الشعرية لتقوم بتجسيد مواقفهم الشعورية ، فكانت الأجواء السياسية ، وما أفرزته من اضطراب في بعض الأوقات ، قد تركت أثراً سلبياً على عدد من الشعراء الذين كانوا على رأس السلطة آنذاك ، ممَّا أدَّى إلى وقوعهم تحت تأثير حالات انفعالية غاضبة ، كشفت عن انزعاجهم من المنتقدين والمنافسين لهم ، وسخطهم على من سعى إلى إقحامهم في صراعه مع الآخرين ، أو من تهاون في أداء واجبه . فيما سجَّل البحث صوراً متعدِّدة من قيام بعض القائمين على الشأن السياسي بإغضاب عدد من الشعراء ، وتحت ذرائع مختلفة ، الأمر الذي سبَّب لهم شعوراً بالتهميش والظلم ، فعمدوا إلى توثيق تلك المواقف التي مرُّوا بها ، وعانوا من آثارها المؤلمة ، وسجَّلوا اعتراضهم ورفضهم لما لحق بهم .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، فقد تجلَّى الغضب عند مجموعة من الشعراء الأندلسيين نتيجة لوقوعهم تحت تأثير ظروف اجتماعية مختلفة ، كان لها أثر كبير في تجاربهم الشعورية ، ومن ذلك (الشيخوخة ، والعوز ، وما حدث من صراع بين بعض الشعراء ، ونار العشق) وغيرها ، إذ عملت على إثارة انفعالاتهم

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

، فعمدوا إلى صياغتها في قوالب شعرية ،كانت ترجمة لما يمور بداخلهم من مشاعر وأحاسيس ، اجتهدوا كثيراً في سبيل إيصالها إلى المتلقي المقصود بالخطاب الانفعالي .

الهوامش

(1) العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي : مادة غضب .

(2) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي : مادة غضب .

(3) سيكولوجية الدافعية والانفعالات ، د. محمد محمود بني يونس : 248 .

(4) علم النفس الاجتماعي ، محمد شحاتة ربيع : 167 .

(5) ينظر : انفعالات النفس ، رينه ديكارت ، ترجمة : جورج زيتاني : 117 .

(6) ينظر : أساسيات علم النفس ، د. فاطمة عبد الرحيم النوايسة : 273 .

(7) ينظر : الغضب أسبابه – أضراره – الوقاية – العلاج ، د. سناء محمد سليمان : 78 .

(8) الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي ، د. إمام عبد الفتاح إمام : 17 .

(9) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : د. إحسان عباس : 3 / 42 – 43 .

(10) ديوان المعتمد بن عبَّاد ملك إشبيلية ، جمعه وحقَّقه: د. حامد عبد المجيد ، د. أحمد أحمد بدوي : 53 .

(11) ينظر : هامش ديوان المعتمد بن عبَّاد ملك إشبيلية : 87 .

(12) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسَّام الشنتريني ، تحقيق : د. إحسان عباس : ق2 / ج1 / 56 . والأبيات في ديوان المعتمد بن عبَّاد ملك إشبيلية : 87 .

(13) اتِّجاهات المديح في شعر إبراهيم بن سهل الإشبيلي الأندلسي – دراسة موضوعية وفنية ، د. عدنان جاسم محمد الجميلي : 167 .

(14) التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية ، د. موسى ربابعة ، بحث منشور : 174.

(15) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ق2 / ج1 / 51 - 52 . وينظر : ديوان المعتمد بن عبَّاد : 66 – 67 .

(16) ديوان ابن زيدون ، شرح : د. يوسف فرحات : 196 .

(17) التخلف الاجتماعي – مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د. مصطفى حجازي : 44 .

(18) ديوان ابن زيدون : 49 .

(19) ينظر : أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح : 82 – 83 .

(20) ديوان ابن عبد ربِّه ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية : 80 .

(21) اللغة واللون ، د. أحمد مختار عمر : 186.

(22) الألوان ودلالاتها السياسية والاجتماعية والنفسية ، محمد بن عبد الله بن آية ، أطروحة دكتوراه : 209 .

(23) تشكيل الخطاب الشعري – دراسات في الشعر الجاهلي ، د. موسى ربابعة : 47 .

(24) الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، د. كريم حسن اللامي : 111.

(25) ديوان يحيى بن حكم الغزال ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية : 45 .

(26) ينظر : الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية ، آمال قرامي : 906 .

(27) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ق2 / ج2 / 835 . والأبيات في كتاب ابن صارة الأندلسي حياته وشعره ، تأليف : د. مصطفى عوض الكريم : 63 .

(28) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد : 91 .

(29) ينظر : النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال : 420 .

(30) دراسات في النقد الأدبي المعاصر ، د. محمد زكي العشماوي : 300 .

(31) ينظر : التخلف الاجتماعي – مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور : 190 .

(32) ينظر : م.ن : 165 .

(33) ديوان ابن زيدون : 47 – 48 .

(34) العنف الأسري دراسة منهجية في المسببات والنتائج والحلول ، د. عبد الله أحمد اليوسف : 21 .

(35) ينظر : المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشيدي : 36 .

(36) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : 4 / 205 .

(37) الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية ، د. هويدا صالح : 231 .

(38) ينظر : دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، حرَّر بعضها وترجم بعضها الآخر : د. الطاهر أحمد مكي : 88 .

(39) المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب : 199 .

(40) الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء (247 – 656 هـ) ، زينب علي حسين الموسوي ، أطروحة دكتوراه: 24 .

(41) ديوان ابن الحداد الأندلسي ، تحقيق : د. يوسف علي طويل : 223 - 224 .

(42) سورة الهمزة : آية 1 .

(43) السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية ، د. المهدي إبراهيم الغويل : 116 .

(44) ديوان صفوان بن إدريس المرسي ، جمع وتحقيق : د. أحمد حاجم الربيعي : 100 .

(45) م.ن : 101 .

(46) م.ن : 93 .

(47) تحفة القادم ، لأبي عبد الله محمد بن الأبَّار القضاعي البلنسي ، أعاد بناءه وعلَّق عليه : د.إحسان عباس : 1 / 219 .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن صارة الأندلسي حياته وشعره ، تأليف : د. مصطفى عوض الكريم ، مطبعة مصر (سودان) ليمتد ، (د.ط) ، (د.ت) .
- اتّجاهات المديح في شعر إبراهيم بن سهل الإشبيلي الأندلسي – دراسة موضوعية وفنية ، د. عدنان جاسم محمد الجميلي ، دار العصماء ، دمشق - سورية ، ط1 ، 2012م .
- الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية ، آمال قرامي، دار المدار الإسلامي، ط1 ، 2007 .
- أساسيات علم النفس ، د. فاطمة عبد الرحيم النوايسة ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، (د.ط) ، 2015م .
- أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ط7 ، 1968م .
- الألوان ودلالاتها السياسية والاجتماعية والنفسية ، محمد بن عبد الله بن آية ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، 1995م .
- الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، د. كريم حسن اللامي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2008م .
- الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء (247 – 656 هـ) ، زينب علي حسين الموسوي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القادسية –كلية الآداب ، 2017م .
- انفعالات النفس ، رينه ديكارت ، ترجمة : جورج زيتاني ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1993م .
- تحفة القادم ، لأبي عبد الله محمد بن الأبَّار القضاعي البلنسي ، أعاد بناءه وعلَّق عليه : د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1986م .
- التخلف الاجتماعي – مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط9 ، 2005م .
- تشكيل الخطاب الشعري – دراسات في الشعر الجاهلي ، د. موسى ربابعة ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2011م .
- التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية ، د. موسى ربابعة ، بحث منشور ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، مجلد5 ، عدد1 ، 1990م .
- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، حرَّر بعضها وترجم بعضها الآخر : د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، ط3 ، 1987م .
- دراسات في النقد الأدبي المعاصر ، د. محمد زكي العشماوي ، دار الشروق – القاهرة ، ط1 ، 1994م .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- ديوان ابن الحداد الأندلسي ، تحقيق : د. يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1990م .
- ديوان ابن زيدون ، شرح : د. يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط2 ، 1994م .
- ديوان ابن عبد ربِّه ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط1 ، 1979م .
- ديوان صفوان بن إدريس المرسي ، جمع وتحقيق : د. أحمد حاجم الربيعي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2018م .
- ديوان المعتمد بن عبَّاد ملك إشبيلية ، جمعه وحقَّقه : د. حامد عبد المجيد ، د. أحمد أحمد بدوي ، راجعه : طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ط3 ، 2000م .
- ديوان يحيى بن حكم الغزال ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1993م .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسَّام الشنتريني ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، 1997م .
- السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية ، د. المهدي إبراهيم الغويل ، أكاديمية الفكر الجماهيري – ليبيا ، (د.ط) ، 2011م .
- سيكولوجية الدافعية والانفعالات ، د. محمد محمود بني يونس ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2007م .
- الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي ، د. إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، 183 ، مارس – 1994م .
- علم النفس الاجتماعي ، محمد شحاتة ربيع ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط1 ، 2011م .
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد ، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ط4 ، 1423هـ - 2002م .
- العنف الأسري دراسة منهجية في المسببات والنتائج والحلول ، د. عبد الله أحمد اليوسف ، دار المحجة البيضاء ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2010م .
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2003م .
- الغضب أسبابه – أضراره – الوقاية – العلاج ، د. سناء محمد سليمان ، سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع ، 13 ، القاهرة – عالم الكتب ، 2007م .
- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي ، دار صادر– بيروت، ط3 ، 1414هـ .
- اللغة واللون ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتاب للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط2 ، 1997م .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشيدي ، دار نينوى للطباعة والنشر – دمشق ، (د.ط) ، 2011م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، (د.ط) ، 1968م .
- النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ط) ، 1997م .
- الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية ، د. هويدا صالح ، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط2 ، 2015م .